



في رِحَابِ التُّورَاةِ

دراساتٌ وحواراتٌ روحانيةٌ معمقةٌ في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

ننقدم إلى عائلة شيل بجزيل الشكر والعرفان على دعمهم السخي لكتاب "في رحاب التوراة" (Covenant and Conversation)، وهندي هذا الكتاب الذي الحاخام حاريم شيل منذ اللحظة الأولى لاطلاعه عليها، خاصة وأنه عمل جاهداً على لا تطريق

"لقد عشقت تعاليم التوراة التي قدمها الحاخام حاريم شيل منذ اللحظة الأولى لاطلاعه عليها، خاصة وأنه عمل جاهداً على لا تطريق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تحقق في علاقتها بالحقائق الموجودة وراءها، وبرققة زوجته آنا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أنسس الحاخام حاريم حياماً مكرسة لحب العائلة والمجتمع والتوراة، فكانا زوجين مميتين ومثلاً يُعتد به بكل ما تحمله الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عمق الأثر على." - الحاخام جوناثان ساكس

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah.

An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

مَطْوَتٌ هو النص الأسبوعي التاسع من كتاب "بِمِدْبَارٍ" (أي سفر العدد). يبدأ هذا النص الأسبوعي بالآية الثانية من المقطع الثلاثين وينتهي بالآية الثانية والأربعين من المقطع الثاني والثلاثين.

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

الوفاء بالوعد

يَسْتَهِلُّ نَصُّ مَطْوَتٍ من نصوص التوراة آياته بالحديث عن تَشْرِيعَاتِ النَّذْرِ وَالْقَسْمِ (اليمين). لكن ما الذي يفعله نَصُّ كَهذا في خِتَامِ كَتَابِ بِمِدْبَارٍ (سفر العدد) خاصة وأن بني إسرائيل على وشك الوصول إلى المحطة النهائية من رحلتهم إلى أرض الميعاد؟

إن النذر والأيمان هي في الحقيقة تكليفٌ تصنعة الكلمات، إنها التزاماتٌ للقيام بأمر مُعين أو الامتناع عن القيام بأمر مُعين. كما أن النذر (النذر باللغة العربية) يؤثّر على حالة الشيء، يُعني أنني حين أندُر نذراً بألا أتناول طعاماً مُعيناً فإن هذا الطعام يُصبح حالياً محرّماً علىي. أما اليمين "شُفُوعاً" فيؤثّر على الشخص لا على الشيء، يُعني أن ما صار محرّماً في هذه الحالة هو قيامي بتناول الطعام، لا الطعام نفسه. لكن كلا المعنيين (النذر واليمين) يجتمعان في كلمة واحدة: وهذا هو المعنى الجوهري لكلمة "إسار" باللغة العربية والتي تعني الالتزام والارتباط والتعهد.

ومثلكما توجّد حُرمةٌ للوفاء بالنذر والالتزام بالأيمان، فإن التَّحَلُّ منها له حُرمةٌ وشروطٌ مُلزمةٌ هو الآخر، كما لا يمكن لأحدٍ أن يتخلّل من نذوره وأيمانه لوحده، وهذا يضع هذا النص الأسبوعي من نصوص التوراة بعضاً من التشريعات الأساسية للقيام بذلك، في حين أن بقية التشريعات المتعلقة بهذا الأمر موجودة في التوراة السُّفُوية (والتي يعتقد أنها جُزءٌ لا يتجزأ من التوراة). وبالتالي نجد أن اليهودية تأخذ مسألة الالتزامات الشفهية على محمل الجد لدرجة أن "كل نيدري" (أحد طرق التَّحَلُّ من النذر والأيمان) هو منسك هامٌ من المناسبات التي نؤديها في بداية أقدس يوم في السنة وهو يوم كيپور (يوم الغُفران).

والسبب الظاهري لوجود تشريعات النذر والأيمان في هذا الموضع يمكنُ في أن الجُزءَ السابق لهذا النص الأسبوعي من التوراة قد تطرق لمسألة القرابين اليهودية الجماعية. لكن اليهود كأفراد قدمو القرابين أيضاً لأنهم في بعض الأحيان أذموا نفسهم بذلك، وفي أحيان أخرى كانوا يقدّمونها لأنهم اختاروا القيام بذلك طوعاً، وبالتالي فإن تشريعات تقديم القرابين طوعاً تطبق عليهم أيضاً.

لكن يوجد سبب أعمق وراء ذلك، فبني يسرائيل يقتربون من أرض الميعاد، وكانوا على وشك البدء ببناء مجتمع لا مثيل له آنذاك، مجتمع حُرٌّ قائمٌ على العهد بينهم وبين الله عزوجل. وفي هذا المجتمع لا يجب أن تكون سيادة القانون محمية بالقوة، بل يجب أن تكون محمية باحترام أفراد المجتمع لالتزامهم الأخلاقية، وباختيارهم الطوعي حين قبلوا بطاعة ما يأمرهم به الله عزوجل.

إن المجتمع القائم على هذا العهد هو مجتمع تجده فيه حرمة وقداسة الكلمة، وهذا المبدأ راسخ في صميم العقيدة اليهودية كقاعدة للحرية الجماعية وكدستور للتحرر. وهذا المبدأ بحاجة إلى تفسير، فكل مجتمع بحاجة إلى قوانين، لأنه حين يخلو من القوانين ستعم فيه الفوضى. عموماً، تجده ثلات أسباب يجعل البشر يتزمون بالقوانين: السبب الأول هو معرفتهم بأنهم سيُعاقبون في حال لم يتزموا بها، وفي هذه الحالة يُمكّنا وصف مثل هذا المجتمع بأنه قائم على أساس القوة والسلطة. أما السبب الثاني فهو أن الالتزام بالقانون يُصْبِّ في مصلحتهم، وفي هذه الحالة يُمكّنا وصف مثل هذا المجتمع بأنه قائم على أساس المصلحة الذاتية. لكن كلا المجتمعين يوجد له سلبيات، فالسلطة تُفسِّد البشر، والسعى وراء المصلحة الذاتية يُفسِّد البشر هو الآخر.

وحين تكون السلطة فاسدة فإن هذا سيؤدي إلى فقدان الحرية، وعندما يطغى السعي وراء المصالح الذاتية على المجتمع فإن هذا سيؤدي إلى فقدان التماسِك الاجتماعي. وعندما يكتُرُ البشر بأنفسهم لا بالآخرين فإن الناجح سينمو ويزدهر في حين سيعاني البقية، عندها سينتَحِي العدل والتراحم جانباً ليحل مكانهما الطمع والاستغلال.

لكن التوراة تُبيّن لنا طريقاً أو سبباً ثالثاً يجعل الناس يتزمون بالقوانين، وهو أنهم اختاروا ظواهية أن يتزموا بها. والأفراد في هذه الحالة ينتزمون لمجتمع لا يقوم على القوة والسلطة أو السعي وراء المصالحة الذاتية، بل يقوم على أساس الاختيار الحُر للالتزام بالواجبات الأخلاقية، فالتوراة هي القصة التي تبين لنا كيف جاء بنو يسرائيل بهذه الفكرة الخلاقية: فِكرة سياسة العهد.

ول VX خيرية القدر فإن فريدريك نيتше - الذي يعتبر من أكبر مُنتقدِي الديانة اليهودية - كان الشخص الذي رأى أن فدرتنا كبشر على إلزام أنفسنا بالوعود عن طريق الكلمات التي نقطعها تعتبر أساساً للأخلاقيات وللحريَّة الإنسانية، وهذا ما عبر عنه في كتابه "في جنِيالوجيا الأخلاق" (On the Genealogy of Morality) حين قال:

"اليس تربية حيوانٍ يمتاز بالقدرة على إطلاق الوعود هي مَهَمَّةٌ مُتَنَاقِضَةٌ أخذتها الطبيعة على عاتِقِها بالنسبة للنوع البشري؟ أليس هذه هي الإشكالية الحقيقية للبشر؟"

ويَمتَأُ النوع البشري عن سائر الحيوانات الأخرى بقدرتِه على استخدام اللغة وهذا أمرٌ بدِيهٍ معروف. في الوقت نفسه، فإن ما رأاه نيتشه هو أننا نستخدم اللغة بِطُرْقٍ عديدة ومُختلفة، فنحن نستخدمها لغرض الوصف والتواصل والتصنيف والتفسير وغيرها من الأغراض. وبالتالي فإن اللغة في هذا السياق هي بمثابة انعكاسٍ ل الواقع وترجمة لما يتضمنه من إشاراتٍ ورموز وصور.

لكن يَمْكَنُنا استخدام اللغة بطريقَةٍ مُخْتَلِفةٍ تماماً، لا لوصف أمرٍ معين بل لإلزام أنفسنا بشكلٍ من أشكال السلوك مُستقبلاً. فعلى سبيل المثال، عندما يقف العريس تحت "الخوباه" (الخوباه هي عريشة صغيرة يقف تحتها العريس والعروس كجزء من تقليد الزواج في اليهودية وتُقام هذه العريشة على أربعة أعمدة) ويقول لعروسه: "أنت مُقدَّسة بالنسبة لي" فهو لا يَصِفُ الزواج لأنَّه يتزوج فعلياً، بل هو يُلزِّم نفسه بعدِ من الالتزامات تجاه المرأة التي اختارها لتكون زوجة له، وهذا ما يُطلق عليه الفلسفه في وقتنا الحالي مُصطلح (Performative Utterance) أي الكلام الأدائي، وهذا ما اعتبره نيتشه أمراً أساسياً بالنسبة للإنسان، فعبر عن هذا قائلاً:

حتى نمتلك قدرًا من السيطرة على المستقبل، فإنه ينبغي على الإنسان أولًا أن يتعلم كيف يُفرق بين ما يحدث بالصدفة وبين ما يحدث عمداً... وقبل أن يقوم بهذا ينبغي عليه أن يكون - حتى في نظرته لنفسه - مُستقرًا ومؤوضع ثقة وأن يرى الضرورة فيما يقوم به من أفعال، وذلك حتى يحاسب عن مستقبله حين يُلزِّم نفسه بوعده ما.

وحيث نلزم أنفسنا بكلمات معينة فإننا نستخدم اللغة حتى نصنع أمراً، لأننا حينها نصنع مستقبلاً منظماً من فوضى الغرائز والشهوات البشرية. وما يجعل البشر فريدين من نوعهم ليس استخدامهم للغة، فهو ذلك حيوانات أخرى تستخدم أشكالاً مختلفة من أشكال اللغة، فالدلائل تفعل ذلك، والحال نفسه ينطبق على الحيوانات التي تنتهي لعائمة الرئيسيات، وحتى النحل يؤدي رقصات معددة ليُسل من خلالها معلومات لمجموعات أخرى من النحل.

لكن ما يجعلنا كبشر فريدين من نوعنا هو أننا نستخدم اللغة لنلزم أنفسنا بسلوكنا المستقبلي حتى نتمكن من بناء رابطة الثقة المتبادلة مع غيرنا من البشر، وخياراً مثل على هذه الرابطة هو قطع الوعود والزواج، وهناك مثال ثالث - وهو أمر تمثار به اليهودية دون غيرها - يتمثل فيما يفهمه المجتمع على أنه عهد مكون من مجموعة وعود مشتركة ومتبادلة بين الشعب اليهودي والله عز وجل. إن استخدامنا للغة على هذا النحو، لا يوصي أمر موجود بالفعل بل يصنع أمر لم يكن موجوداً من قبل، هو الاستخدام الذي يربطنا بالله عز وجل، فالله استخدام الكلمات ليجلب الكون الطبيعي إلى الوجود، مصداقاً لما تخبرنا به آيات التوراة: "قال الله... فكان".

إننا نستخدم الكلمات لنجلب كوناً اجتماعياً إلى الوجود، وما تخبرنا به التوراة هو أن الكلمات من شأنها أن تصنع أمراً معيناً لأن الكلمات مقدسة وملزمة لمن ينطق بها. وعندما تلزم الكلمات بأمر معين فإن هذا هو ما يؤكّد الثقة، والثقة بالنسبة للمجتمع هي كالتنبؤ بالنسبة للطبيعة: إنها أساس النظام المخالف للفوضى.

إن الأنظمة الاجتماعية في المجتمع تقوم على أساس الثقة، والثقة تعني أن نلزم بكلماتنا، وأن ننطق بما سنقوم به فعلًا. وأن نلزم أنفسنا بما نقطعه من نذور وأيمان ووعود أو أي التزام شفهي آخر. وهذا يعني أننا سوف نفي بهذه الالتزامات إلا في حالة وجود ظروف قاهرة وغير متوقعة تحول دون ذلك.

وحيث تتحطم روابط الثقة فإن العلاقات الاجتماعية تحطم هي الأخرى، وعندما سيصبح المجتمع معتمدًا على جهات تنفيذ القانون أو غيرها من أشكال استخدام القوة. ويحتمل الإفراط في استخدام القوة فإن المجتمع لن يكون حراً على الإطلاق. والطريقة الوحيدة التي تجعل البشر الآحرار يصنعون روابط بينهم تقوم على أساس التعايش والتعاون دون الاستعانة بالقوة تكون عبر احترام الالتزامات السلفية التي يلزمو أنفسهم بها.

إن الحرية بحاجة للثقة، والثقة بحاجة إلى بشر يلتزمون بكلماتهم، والالتزام بالكلمة يعني معاملة الكلمة على أنها أمر مقدس، وبأن النذور والأيمان لها حرمة يجب أن تُصان. وفقط في ظل ظروف محددة وظاهرة يُمكان الإنسان أن يكون في حلٍّ مما يقطعه من وعود ونذور وأيمان. ولهذا السبب تحديدًا نفهم الحكم من وراء تذكرة بني إسرائيل بهذه الخاصية المقدسة للنذور والأيمان بمجرد اقترابهم من الأرض المقدسة، ففيها المجتمع الحُرُّ الذي ينبغي عليهم إقامته.

وقد يكون الإغراء بعدم الإيفاء بالوعود طاغياً ويسطيراً عليك، خاصة إن كان عدم الإيفاء بهذا الوعيد يصب في مصلحتك، ولهذا السبب تحديدًا نجد أن الإيمان بالله عز وجل أمر أساسى جداً، فالله يسمع ويعلم ما يقول بخاطرنا من أفكار وما يصدر عننا من أقوال أو أفعال، وهو الذي سيحاسبنا عن الالتزامات التي نلزم أنفسنا بها. ولربما يبدو لنا الأمر غريباً في وقتنا الحالي حين نجد أن الفيلسوف الإنجليزي الذي عاش في القرن السابع عشر جون لووك المعروف عنه بأنه أبو للتسامح والليبرالية كان يعتقد بأنه لا يجب أن تُمنح الجنسية للمُلحدين، إيماناً منه بأن عدم إيمانهم بالله لا يجعلهم موضع ثقة بأنهم سوف يحترمون كلمتهم.

بالتالي، فإن ظهور تشريعات النذور والإيمان في ختام سفر العدد بالتزامن مع اقتراب بني إسرائيل من دخول الأرض المقدسة لم يكن من قبيل الصدفة، والعبرة من ذلك لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، فالمجتمع الحُرُّ يقوم على أساس الثقة، والثقة تقوم على أساس الالتزام بالكلمة، وهكذا يمكن للبشر أن يقتدوا بالله عز وجل في استخدامه اللغة للخلق. فالكلمات تخلق الالتزامات الأخلاقية، والالتزامات الأخلاقية حين يتم الالتزام بها يُمْتَهِن المسئولية واحترامها بُمْتَهِن الإخلاص فإنها تخلق القدرة والإمكانية لبناء مجتمع حُرٌّ. لهذا يجب علينا أن نقوم بما قلنا أننا سنقوم به، وحيث نفشل في الالتزام بكلماتنا وبالوفاء بوعودنا فإننا بنهاية المطاف سنفقد حُرِيتنا.

The original text can be found here:

<https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation/matot/keeping-our-word/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*



Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

f t g m | RABBISACKS.ORG

الوفاء بالوعيد

4

مَطْوِت